الوسيط

أحمد ناصر

" أعتقد أن سعر تلك الشقة مناسب لي إنها رخيصة عن أي شقة في تلك المنطقة، متي سوف نقوم بتوقيع العقود يا أستاذ؟"

خرجت تلك العبارة من فم شابة في أوائل الثلاثينات من عمرها وهي تقف أمام وسيط العقارات الخاص بتلك المنطقة داخل إحدى الشقق ثم استطردت بعدها بلحظاتٍ قائلة:

أستاذ سعيد أرجو أن لا نتأخر لأني على عجلة من أمري، كما تعلم يا أستاذي فأنا من مدينة أخرى و لديّ إرتباطات كثيرة ومواعيد عمل لا أستطيع تأجيلها، ويجب أن أضع أغراضي وحقائبي هنا في أقرب وقت؛ حتى أكون حرة التحرك في أي وقت وكذلك لآخذ قسطًا من الراحة.

إبتسم الوسيط إبتسامة غير مريحة وهو يقول بصوتٍ يشبه الفحيح:

السعر مناسب لي ولك يا سيدتي، تفضلي حالًا إلى مكتبي لتوقيع عقود تلك الشقة، فمالك تلك الشقة مسافر وأنا لدي كافة الصلاحيات لتأجيرها بتوكيل رسمي موثق.

obeikandl.com

خرج الإثنان من باب الشقة المفتوح سلفًا ثم اتجهت الشابة إلى باب المصعد، إلا أن الوسيط قد استوقفها قبل أن تصل إليه قائلًا لها بلهجة شديدة التهذيب وإن شابتها لمحة خوف وذعر لم ينجح في اخفائهما:

سيدتي، نحن في الطابق الثاني فقط؛ لا حاجة لنا بإستخدام المصعد، ثم إن المصعد قديم بعض الشيء ومتهالك و...

قاطعته الشابه وهي تقول بلهجة متوترة:

حسنًا تلك ليست بالمشكلة المستعصية، لكن أرجوك يجب أن ننهي الإجراءات في أقرب وقت.

بلهجة غامضة وهو يسير إلى جوارها نازلًا درجات السلم قائلًا:

صدقيني، كل شيء سينتهي قريبًا جدًا.

****

-" وأنت، كم مرة قمت بتأجير تلك الشقة يا منعدم الضمير؟"

قالها ضابط الشرطة للوسيط الذي يقف أمامه منكس الرأس مكبل بالأغلال وتوجد على وجهه أثار كدمات واضحة وكذلك أثار لدماء جافة على جبهته.

رفع الوسيط رأسه ببطء وهو يقول للضابط بخفوتٍ:

-مرات عديدة يا سيدي، لا أتذكرها ولا أستطيع عدها.

عاد الضابط ليقول بغضب:

- وتلك الفتاة التي آخر من استأجرت تلك الشقة ماذا حل بها، أتعرف هذا أم كالآخرين لا تعرف؟

حاول الوسيط بصوت مرتجف أن يدافع عن نفسه فقال:

-يا سيدي الضابط، أنا لا أعلم ماذا حل بها أو بغيرها أنا لا أعلم، صدقني لا أعلم.

ثم طفق يبكي متشنجًا، وعاد يقول بصوتٍ متقطع وسط نحيبه:

-أنا فقط وسيط، مُجرد وسيط.

****

" ماذا حدث لتلك الشابة الجديدة التي استأجرت الشقة؟

إنها جميلة حقًا لقد ظننت أنها إحدى رفيقاتك، ستمضي معها بعض الوقت في الشقة ثم ستغادران، وقد تعجبت أنكم نزلتما من الشقة إلى مكتبك مباشرة فعلمت أنها زبونة."

قالها صديق الوسيط الجالس معه علي أحد المقاهي القريبة من تلك العمارة، فرد عليه الوسيط قائلًا باستهتارولا مبالاة شديدة:

-مثل سابقيها، لا حس ولا خبر، فص ملح وقد ذاب يا صديقي.

رد عليه صديقه وقد بدأ الخوف والقلق من صديقه يغزوان صوته:

-ماذا يحدث لهم يا تري داخل تلك الشقة الملعونة؟

obeikandl.com

رد عليه الوسيط بنفس طريقته السابقة المستهترة قائلًا:

-لا يهُم فليمُت من يمُت وليعش من يعش، ليختفي البشر كلهم أو ليتم حرقهم بالبنزين،

تلك الشقة هي أهم مشروع استثماري في حياتي كلها.

قال صديقه بلهجه مشمئزة:

-إنها شقة ملعونة لن تجلب لك سوى المشاكل.

إقترب الوسيط منه ومال ناحيته، وهو يقول بصوتٍ منخفض أثار الرعب في قلب صديقه:

الشقة ملعونة فقط على من يسكنها، أما أنا فلا.

ثم ضحك ضحكة طويلة لا تمت إلي ضحكات البشر بأي صلة!

****

وقفت الشابة (جيهان) أمام المرآة الطويلة في غرفة نومها بالشقة الجديدة بعد أن انتهت لتوها من الإستحمام، كانت تلف جسدها بمنشفة صغيرة وقطرات الماء تتساقط من شعرها الأسود المبلل.

دق جرس الإتصال في هاتفها المحمول لتلتقطه في بساطة شديدة ناظرة إلى الرقم غير المسجل، كان رقمًا غريبًا يتكون من أربعة أرقام فقط ٩٩٩٠ ظنت إنه رقم مطعم ما، أو رقم لإحدى شركات الاتصالات.

ضغطت أيقونة الرد الخضراء في شاشة هاتفها وهي تقول: مرحبًا.

obeikandl.com

-"أنا هنا، حولك."

جاءها هذا الصوت مضخمًا بطريقة اليكترونية أخذتها المفاجأة وعينها تدوران في كل مكان حولها،في حين عاد الصوت يقول:

-" جسدك رائع."

قالت بصوت مرتجف: من المتكلم؟

كان الصوت هذه المرة مرتفعًا بعض الشيء: أنت من تتكلمين يا عزيزتي، نحن وجهان لعملة واحدة.

الخيروالشر.

الضياء والظلام.

الحب والبغض.

السماء والأرض.

أنتِ لستِ الجانب الطيب في هذه القصة يا عزيزتي.

بدأت تتلفت حولها في وجلٍ وقد غزا الذعر محياها، تجمدت الدماء في عروقها وأحست ببرودةٍ مفاجئة رُغم الطقس الصيفي المحيط بها!

أصدر هاتفها صوت شوشرة استاتيكية ثم انطفأ فجأة ولم يعد يصدر منه أي صوت أو إشارة، وأصبح كتلة معدنية صماء لا قيمة لها.

وقفت لحظات تحاول استيعاب ما حدث لها، بدأت في إرتداء ملابسها وهي تحاول إقناع نفسها بأن هذه المكالمة هي مجرد تحرش هاتفي ليس إلا،وأن هاتفها قد أصابه عطل ما.

obeikandl.com

ذهبت إلي المطبخ بعد أن ارتدت ملابسها لتصنع مشروبًا يهدئ أعصابها المنفلتة قليلًا من أثر ما تعرضت له.

سارت عدة خطوات باتجاه المطبخ وهي تشعر أن ثمة من يراقبها، هناك حضور ثقيل للغاية معها.

كانت تجبر نفسها على عدم الإلتفات إلى الخلف؛ حتي لا ترى شيئًا يخيفها، لكنها فوجئت بيدٍ تلمس ظهرها!

اقشعر بدنها، شعرت أن قلبها سيتوقف ثم سيثب خارجًا من قفصها الصدري،

وتلك الهمهمات تتعالى في أذنها،

التفتت ببطء لتراها!

إنها هي، نفس الشكل، الملامح، الملابس، حتي الشعر المبلل.

كأنها نسخة منها في مرآة.

الإختلاف الوحيد أن نسختها أعينها بيضاء تمامًا، لا سواد فيهما.

حاولت أن تبكي، تصرخ، أن تتنفس!

لكن كان هناك من يستحوذ علي وعيها ببطء،

تشعر ببرودة تجتاح كل جسدها وتجمدها مكانها.

أرادت الهرب لكنها لا تستطيع التنفس حتى فما بالك بالحركة؟

مالت شبيهتها عليها وهي تقول بصوت يأتي من أعماق قبرٍ سحيق:

-مرحبًا بكِ في عالمك الجديد، من الآن يا عزيزتي سنتبادل أدوارنا قليلًا، أتمني أن يعجبك وضعي في عالمي.

obeikandl.com

ثم فردت أصابع كفها الأيسر أمام جيهان لتبرز منه خمس مخالب طويلة وحادة للغاية،

واقتربت أكثر من جيهان!

***

انبعث هذا الصوت المرعب من اللامكان ليصدح في كل ركن من أركان تلك الغرفة المظلمة حالكة السواد قائلًا:

-"تلك هي خطتنا التي وضعها أسيادنا منذ آلاف السنين، نختار منكم أيها البشر الفانيين من يصلح أن يكون وسيطًا لنا.

ذلك الوسيط دوره أن يجلب لنا البشر من بني جنسه ونقوم باستبدالهم بنسخ من بنو جنسنا، حتى إذا حانت اللحظة الحاسمة وتفتح البوابات بين عالمينا سنقوم باجتياح الأرض كلها بجيوشٍ جرارة لا قبل لكم بها و سنستعيد سيادتنا عليها مرة أخرى."

إلتفت الوسيط حوله؛ محاولًا إيجاد مصدر ذلك الصوت الذي يتحدث معه وقال بصوتٍ مرتجف:

-وأنا ماذا سأنال مقابل خدمتي لكم؟

رد عليه الصوت قائلًا:

-ستنال حياتك أيها الأدميّ.

تغيرت لهجة الوسيط لتصبح متهكمة رغم دقة موقفه، وقال:

obeikandl.com

حياتي أمتلكها سلفًا أيها السيد، أنا إنسان فاشل لا عمل لي ولا أسرة ولا مصدر دخل،

أفكر في الإنتحار جديًا لكني جبان لا أقوى علي الخلاص من حياتي!

فإن ساعدتني علي إنتزاع روحي من جسدي سأكون شاكرًا لك هذا الفضل.

صمت الصوت لحظات ثم قال بصوتٍ هادئ بعض الشيء:

-لك أنت وكل وسطائنا من بني البشر الأمان، لن يمسسكم أحدٌ بضرٍ،ثم ان وجودك على تلك البوابة بين عالمينا كوسيط ستستفيد بالكثير من المال، هل فهمت الآن كل شيء؟

رد عليه الرجل بصوت هادئ يمتلئ بالخنوع والخبث: أجل؛ فأنا مُجرد وسيط.

openkandl.com